الجوانب السلوكية في قصة داود (عليه السلام) في القرآن الكريم
دراسة في التفسير الاجتماعي

أ.م.د. محمود عبدالرزاق جاسم
جامعة ديالى/ كلية التربية الأساسية

١٤٣٨هـ **٢٠١٦م**

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، وبعد: جاءت قصص الأنبياء والرسل في القرآن الكريم مملوءة بالعبر والأمثلة معروضة لنذكرها ونعتبر بها، نستشعر بها الرحمة وما أغدقه الله تعالى علينا من نعمة وفضل، نلتمس فيها الرعاية الدائمة بالتوجيه والتأديب، فقد جعل الله تعالى تلك القصص شاخصة أمامنا دومًا عبر كلامه العظيم بكتابة الكريم.

ومن قص الأنبياء والرسل تقد لنا الفائدة بكل مفاصل الحياة؛ لأن وسائل القرآن الكريم نفسية غالبة معجزة مبهرة، وهي بالنتيجة صالحة لواقعنا تخاطب العقل والقلب معًا بأسلوب جميل من الاستجواب النافع. وهي مبثوثة بكل آياته وسوره... ومن تلك القصص قصة داود عليه السلام وما اشتملت عليه من وسائل تساعد في نقل السلوك نحو الأفضل وجعله سلوكًا إيمانيًا مساعدًا في تغير المجتمع عن طريق الفرد. وقد كانت قصة داود عليه السلام مليئة بالسلوك الإنساني الحسن بجوانبه الفعلية، والنفسية والاجتماعية، وهذا ما برزه القرآن الكريم.

وهذه دراسة بذلك التفسير المعني بالسلوك (التفسير الاجتماعي) في القرآن الكريم نبرزه من خلال قصة النبي داود عليه السلام في القرآن الكريم، وقد اشتمل البحث على مقدمة ومطلبين، تضمن المطلب الأول بيان معنى السلوك وطبيعة حضوره في الفكر الإسلامي، وبيان أهميته، ودواعيه، وخصائصه، وتصنيفه وميدانه. وتضمن المطلب الثاني قصة داود عليه السلام ودراستها دراسة تفسيرية مستنبطين منها الجوانب السلوكية التي تضمنتها، وقد كانت سلوكيات موزعة بين سلوك يتعلق بالعقيدة، وسلوك يتعلق بالعبادات، وسلوك يتعلق بالخُلق وسلوك يتعلق بالحياة العملية، ثم ختمنا البحث بأهم النتائج، وذكر مصادر البحث ومراجعه، هذا والحمد لله الذي بعمته تتم الصالحات.

الباحث

المطلب الأول// السلوك مفهومه وطبيعة حضوره في الفكر الإسلامي

في تعريف السلوك:

في اللغة:

السُّلُوك: مَصْدَرُ سَلَكَ طَرِيقًا؛ وسَلَكَ المكانَ يَسْلُكُه سَلْكًا، وسُلُوكًا وسَلَكَه غَيْرَه وَفِيهِ، وأَسْلكه إِيَّاهُ وَفِيهِ وَعَلَيْهِ؛ والسِّلْكُ: الخيوط الَّتِي يخاطُ بهَا الثِّيابُ، الْوَاحِدَة: سِلْكةٌ، والجميع: السُّلُوك[1]. والسَّلْكُ، بِالْفَتْحِ: مَصْدَرُ سَلَكْتُ الشَّيْءَ فِي الشَّيْءِ فانْسَلَك، أَي: أَدخلته فِيهِ فَدَخَلَ، والمَسْلَكُ: الطَّرِيقُ. والسَّلْكُ: إِدخال الشَّيْء تَسْلُكُهُ فِيهِ كَمَا يطعنُ الطاعنُ فيَسْلُكُ الرُّمْحَ فِيهِ إِذا طعنه تِلْقاءَ وجهِهِ؛ فالسُّلْكى: الطعنةُ الْمُسْتَقِيمَةُ تلقاءَ وَجْهِهِ[2]، وقال ابن فارس: (وسلكت الشيء في الشي: أنفدته)[3]. قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾﴾ (الشعراء:٢٠٠)، قال ابن عطية: (وسَلَكْناهُ معناه أدخلناه)[4]، فهو إدخال شيء في شيء بحيث يتلبس به فلا يعود يخرج منه، قال الزمخشري: (ثم قال: {كَذٰلِكَ سَلَكْنَاهُ}، أي: مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم، وهكذا مكناه وقرّرناه فيها، وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من الكفر به والتكذيب له وضعناه فيها، فكيفما فعل بهم وصنع وعلى أي وجه دبر أمرهم، فلا سبيل أن يتغيروا عمَّاهم عليه من جحوده وإنكاره)[5]، وهو هنا بمعنى إقرار الأمر وتنفيذه وعدم الخروج عنه، وفي لسان العرب: (وَفِيهِ لُغَةٌ أُخْرَى: أَسْلَكْتُهُ فِيهِ. وَاللَّهُ يُسْلِكُ الكفَّارَ فِي جَهَنَّمَ، أَيْ: يُدْخِلُهُمْ فِيهَا)[6]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (الزمر:٢١)، قال القرطبي: ({فَسَلَكَهُ}، أي: فأدخله في الأرض وأسكنه فيها)[7]؛ فالسلوك ها هنا استقرار الماء في الأرض والسكون فيها، وقد جاءت هذه الحالة بعد أن سلك الماء درب السماء ليستقر في الأرض. وقال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ (المدثر:٤٢)، والآية هنا اشارت إلى دخولهم النار جراء أفعالهم التي فعلوا، قال ابن عطية: (وسلك معناه: أدخل، ومنه قول أبي وجزة السعدي: حتى سلكن الشوى منهن في مسك

من نسل جوابة الآفاق مهداج)[8]

وهذه حكاية حالهم وما انتهى إليه فهو طريق سلك وانتهى ودخل صاحبه نهايته، قال النسفي: ({مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ}، أدخلكم فيها، ولا يقال لا يطابق قوله: مَا سَلَكَكُمْ، وهو سؤال للمجرمين، قوله، يتساءلون عن المجرمين، هو سؤال عنهم، وإنما يطابق ذلك لو قيل: يتساءلون المجرمين ما سلككم؟؛ لأن مَا سَلَكَكُمْ ليس ببيان للتساؤل عنهم وإنما هو حكاية قول المسؤولين عنهم، لأن المسؤولين يلقون إلى السائلين ما جرى بينهم وبين المجرمين فيقولون: قلنا لهم ما سلككم في سقر؟ قالوا: لم نك من المصلين، إلا أنه اختصر كما هو نهج القرآن)[9]، فهي إفضاء حالهم ومنتاه بعد أن زجوا به؛ لأن أصل معنى سلكه: أدخله بين أجزاء شيء حقيقة، ومنه جاء: سِلْك العِقد، واستعير هنا للزج بهم، والمعنى: ما زجَّ بكم في سقر[10]. نجد أن المعاني التي خرج إليها (السلوك) كثيرة؛ فهي الدخول، والولوج، والطريق، والاستقامة، والزج، والتقرير وغيرها من المعاني. وهي معان تُظهر لنا المعنى المراد من السلوك وهو: تبني الإنسان طريق الاستقامة والسير فيه دون غيره من الطرق. وهذا المعنى وجدته متفقًا مع ما أرادت نصوص القرآن الكريم إفهامه للناس جميعًا. والله أعلم.

في الاصطلاح:

إن المعنى الذي يتبادر إلى الذهن وينطق به اللسان حال سماع لفظة (السلوك) هو: تصرفات الإنسان وأخلاقه؛ لأنه مناط التكليف، على أن هذا الفهم في حقيقته وكما نظن قد جاء من خلال كثرة استخدام اللفظة (السلوك) في حياتنا اليومية، نقول مثلًا: فلان حسن السلوك أو الأخلاق، فلان سيء السلوك أو الأخلاق، أو نقول: فلان تعامله مع الناس حسن أو سيء، وهكذا. على أن هذا التعريف للسلوك غير كافٍ مع إشارته إلى جانب مهم وهو (الأخلاق).

عُرف السلوك تعريفات كثيرة، فقد عرفه كل واحد بحسب ما يراه ومن وجهة نظره، فقيل في تعريف السلوك: (النشاط الكلي المركب الذي يقوم به الفرد، والذي ينطوي على عمليات جزئية، وحركات وأداءات تفصيلية)[١١]، وأصحاب هذا القول يجدون إن مظاهر النمو تتمثل في السلوك من الكل إلى الجزء، ومن العام إلى الخاص وغير ذلك من القوانيين الخاصة بالنمو في تطوره البنائي الوظيفي من الطفولة حتى اكتماله ووصوله إلى النضج[١٢]. ويعرفه آخرون بـــــــ: (كل ما يصدر عن الكائن الحي (الإنسان) من نشاط سواء أكان قويًا يلاحظه الآخرون أم ضعيفًا لا يلاحظه الآخرون، وقد يلاحظه الفرد نفسه أثناء تفاعله مع البيئة)[١٣]. وعرفه آخرون بأنه: (ذلك النشاط الإنساني الذي يصدر عن الإنسان من قول، أو فعل أو عمل، سواء أكان إراديًا أو غير إرادي، ظاهرًا أم باطنًا)[١٤]. ويعرفه آخرون على أنه: (كل حركة، أو نشاط أو تصرف أو عمل يقوم به الإنسان في حياته مدفوعًا ببواعث ودوافع معينة، فطرية أم مكتسبة، لإشباع حاجاته الطبيعية، والنفسية والاجتماعية)[١٥]، وهذا على أساس بواعث ودوافع الإنسان. وعرفه آخرون بأنه: (مجموع أفعال الإنسان التي تتغير بتغير الأحوال والدواعي، وتختلف باختلاف الأشخاص وقوة إرادتهم، ودرجة تعقلهم؛ فكل فرد يسلك سلوكه مدفوعًا بمحرك خلقي قاصدًا أمرًا مرغوبًا فيه، وبذلك يختلف عن الحيوان الذي يتحرك بمحض الغريزة والشهوة)[١٦]، وهذا قائم على أن الفعل (السلوك) صادر عن حرية واختيار، وخضع لحكم العقل. ويعرفه آخرون بأنه: (ذلك النشاط الذي يصدر عن الكائن الحي نتيجة لعلاقته بظروف بيئية معينة)[١٧]، هذا باعتباره نشاطًا بيئيًا، على أن هذا التعريف قائم على الاهتمام بالسلوك الظاهري للفرد، وهو لا يهتم بالنواحي الداخلية وهذا واضح بيّن.

يستخلص مما سبق أن السلوك كل ما يصدر عن الإنسان من أنماط النشاط؛ فالتعريفات السابقة للسلوك أغلبها تركز على السلوك الظاهر للعيان دون النظر في السلوك الداخلي (الباطن) الذي لا يظهر للعيان، ومن هنا جاء القرآن الكريم بنظرته للسلوك فهو يركز على الظاهر والباطن في السلوك، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ (الأعراف:٣٣)، وهذا عام في جميع المعاصي ما ظهر منها وما بطن، وأن الظاهر العلانية والباطن السر، وأن ما ظهر أفعال الجوارح والباطن اعتقاد القلوب التي تقود إلى الأعمال الظاهرة[١٨]، وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ ﴾ (غافر:١٩)، قال الرازي: (والمعنى: أنه سبحانه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، والحاكم إذا بلغ في العلم إلى هذا الحد كان خوف المذنب منه شديدا جدا، والخائنة صفة النظرة أو مصدر بمعنى الخائنة، كالعافية المعافاة، والمراد: استراق النظر إلى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب، والمراد بقوله: وما تخفي الصدور مضمرات القلوب، والحاصل أن الأفعال قسمان: أفعال الجوارح وأفعال القلوب، أما أفعال الجوارح، فأخفاها خائنة الأعين والله أعلم بها، فكيف الحال في سائر الأعمال. وأما أفعال القلوب، فهي معلومة لله تعالى لقوله: وما تخفي الصدور، فدل هذا على كونه تعالى عالما بجميع أفعالهم)[١٩]، فقد أكد

القرآن الكريم على الظاهر والباطن من الأعمال (السلوك)، على أن لفظة (السلوك) لم ترد في القرآن الكريم؛ بل يُعبر عنها بلفظ (العمل)، وهو ما تعارف عليه في علم النفس بالسلوك، فإذا ورد لفظ العمل الصالح كان المقصود به: السلوك المرغوب فيه، وإذا ورد العمل السيء كان المقصود به: السلوك الغير مرغوب فيه[٢٠].

وعلى ما تقدم نرى أن السلوك: هو ذلك النشاط المستمد من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وهو يضمن مصلحة البشر باختلاف أجناسهم وبيئاتهم، وهو يهدف إلى إحقاق الحق ونشر العدل، ويكون مصدر تلقيه خالصًا من عند الله سبحانه وتعالى ونبيه ﷺ، وهو ثمرة الفهم الواعي والعقل الصحيح الراجح، ولا يأتي إلا نتيجة للتدريب، والمران والمجاهدة على أساس سليم مبني على الإيمان بالله تعالى بصدق وإخلاص[٢١].

في أهمية السلوك، ودواعيه، وخصائصه، وتصنيفه وميدانه:

في أهميته:

عُني القرآن الكريم بسلوك الإنسان على أكمل وجه وأحسنه، وهذه العناية تتصل بكل الجوانب المتعلقة بسلوك الإنسان ذاته؛ فهو يبدأ من[٢٢] :-

- الجانب البدني، والعمل على المحافظة على بدن الإنسان سليمًا معافى من الأمراض، والأسقام وكل ما يضره، وذلك بالنصح والإرشاد فيما يتعلق بكل صغيرة وكبيرة تخصه، قال تعالى: ﴿ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ ﴾ (الأعراف:٣١)، قال أبو الليث السمرقندي: ({خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا}، في التحريم. ويقال: الإسراف أن يأكل ما لا يحل أكله أو يأكل مما يحل له أكله فوق القصد ومقدار الحاجة. وقيل لبعض الأطباء: هل وجدت الطب في كتاب الله تعالى؟ قال: نعم قد جمع الله الطب كله في هذه الآية: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا}، ثم قال: {إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}، أي: لا تحرموا ما أحل الله لكم، فإنَّ المحرم ما أحل الله كالمحل ما حرم الله تعالى)[٢٣]، و (وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان: سرف ومخيلة)[٢٤]، ويحكى: (أنّ الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق، فقال لعلي بن الحسين بن واقد: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان، علم الأبدان وعلم الأديان؟، فقال له: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه، قال: وما هي؟، قال: قوله تعالى: {وكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ}، فقال النصراني: ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب؟، فقال: قد جمع رسولنا ﷺ الطب في ألفاظ يسيرة، قال: وما هي؟ قال قوله: المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء وأعط كل بدن ما عوّدته[٢٥]، فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبًا)[٢٦].

- الجانب العقلي، وقدرات الإنسان العقلية وتنمية مواهبه ومهارته الفكرية، على القرآن الكريم يحاكي العقل ويدعوه إلى الإيمان بالله بعد التفكير وإعمال العقل، والآيات الدالة على هذا الجانب كثيرة جدًا، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٢٤ ﴾ (يونس:٢٤)، وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ٣ ﴾ (الرعد٣)، وقال تعالى: ﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ١١ ﴾ (النحل:١١)، وقال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٤ ﴾ (الرعد:٤).

- الجانب الروحي للإنسان، وهو مهم جدًا إذ به يعرف كنه وجوده وحياته، قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات:٥٦)، قال الزمخشري: (أي : وما خلقت الجن والإنس إلا لأجل العبادة، ولم أرد من جميعهم إلا إياها. فإن قلت: لو كان مريدًا للعبادة منهم لكانوا كلهم عبادًا؟ قلت: إنما أراد منهم أن يعبدوه مختارين للعبادة لا مضطرين إليها؛ لأنه خلقهم ممكّنين، فاختار بعضهم ترك العبادة كونه مريدًا لها، ولو أرادها على القسر والإلجاء لوجدت من جميعهم)[٢٧].
وقال ابن عطية: (إن الله تعالى لم يرد أن تقع العبادة من الجميع؛ لأنه لو أراد ذلك لم يصح وقوع الأمر بخلاف إرادته، فقال ابن عباس وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما المعنى: ما خلقت الجن والإنس إلا لأمرهم بعبادتي، وليقروا لي بالعبودية فعبر عن ذلك بقوله: {لِيَعْبُدُونِ}، إذ العبادة هي مضمن الأمر)[٢٨]، وهذا واضح في أمر السلوك.
- مراعاة الجانب النفسي، وإشباع الحاجات المختلفة والحذر من أمراض النفس المختلفة، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الروم:٢١)، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (الحجرات:١٢).

<u>في دواعيه:</u>
على أن أهم الأسباب الداعية للاهتمام بالسلوك[٢٩] :-
١- إن الإنسان يبحث عن أسباب الحياة المستقرة، الآمنة، المرفّهة، المليئة بالبهجة والفرح والسرور والراحة والأمان، ولا تتحقق هذه الحياة إلا إذا أدَّى كل فرد واجبه نحو أخيه، والجماعة التي يحيا فيها والأمة التي ينتب إليها؛ ولا يكون ذلك إلا من خلال غرس المبادئ، والقيم الأخلاقية والفضائل السلوكية عند الأفراد وربطه بالإيمان بالأخلاق الفاضلة، فقد قال رَسُولُ الله ﷺ في الحديث: (أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِنِسَائِهِمْ)[٣٠].
٢- إن سعادة الأمة لا تتم إلا إذا كان بناء الفرد والمجتمع سليمًا معافى، ولا يتم هذا إلا عن طريق هدايته وعودته إلى فطرته، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (الروم:٣٠)، والفرد الصالح هو صاحب الشخصية المتميزة وفق نموذج متميز هو أساس تميز هذه الأمة؛ لأن منهج الإسلام يحدد لهم في وضوح تام مواصفات هذا الإنسان النموذج ويرسم لهم المنهج الذي يصلون به إلى تحقيق هذه الغاية[٣١].
٣- إصلاح علاقة الفرد بربه عز وجل، ويكون هذا بإصلاح سريرته وعلانيته، وتكوين الرقيب الداخلي عند الإنسان ليرقى سلوكه الإنساني إلى درجة الكمال، ويكون ذلك بتنمية الصفات الحميدة والآداب الفاضلة ومن ثمَّ المجتمع الفاضل[٣٢]، وهذا في أصله مبني على قيام عقيدة صحيحة، وهو ملازم لها ولا يتصور في الحقيقة أن يكون هناك مسلم متزن الفهم معتدل الخلق يحمل في نفسه

الحقد، والغل والحسد لأخيه حتى إذا كان مذنبًا، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحجرات:١٠).

٤- إن موضوع إعمار الأرض والاستخلاف فيها له ارتباط بالإنسان وبما يقوم به من أعمال وتصرفات، فلا بد لمن يقوم بهذا الدور أن يسلك سلوكًا صحيحًا حسنًا ليتم له النجاح في مسعاه ومهمته، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (الأنعام:١٦٢-١٦٣). وهذا يقتضي أن يتحول الفرد بسلوكه الحسن طاقة إيجابية كاملة في واقع الحياة تغير كل شيء إلى الأفضل والأحسن بإذن الله[٣٣].

٥- تكوين نموذج للحياة التي يراد للفرد أن يحياها والأمة أن تعيش تبعًا لها، ولا يكون ذلك إلا بتربية الفرد على العيش وفق قدوة يجعله، ويتمثّل سلوكه، ويعيش معه ويقتفي أثره، وهل ثمة قدوة خير من أنبياء الله تعالى ومن ذكرهم الله عز وجل في كتابه، قال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب:٢١)، وقال تعالى: ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ ﴾ (الممتحنة:٤)، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ﴾ (الممتحنة:٦).

<u>في خصائصه:</u>

أما ما يخص السلوك في الفكر الإسلامي، نجد أن له خصائص تميزه من غيره؛ ذلك أن البناء الإنساني في الإسلام كلٌّ لا يتجزأ ... جسد وروح، ولكل واحد من هذين العنصرين وجود متميز، برغم أن للروح نوعًا من النشاط الخاص الذي تستقل فيه عن الجسد، ويتعين علينا أن ندرك أن نظرة الإسلام نظرة شمولية قائمة على أن سلوك الإنسان يمثل المسؤولية التي تقع على الإنسان بوصفه وحدة نفسية مشكلة من جسد وروح باعتبارهما نفسًا واحدة وهي بدورها تمثل وحدة السلوك المتكامل للإنسان[٣٤]، ومن هنا كان هذا التميّز في الخصائص، وسنأتي على بيانها[٣٥]:-

١- ربّاني المصدر: مستمد من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، أي: له صبغة ربانية، قال تعالى: ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ ﴾ (البقرة:١٣٨)، على المقصود بالصبغة (دين الله) وكان لهذه الصبغة وهذا الدين الأثر الواضح البيّن، (سمي الدين صبغة لبيان أثره على الإنسان من، الصلاة، والصوم، والطهور والسكينة)[٣٦]، وهي في ذلك منبثقة عن الذات الإلهية، لذا تخلو من التناقض والتحريف، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ ﴾ (النساء:١٧٤). فالربانية هي: (النسبة التي يعتز بها كل موحد، وهي التي ينبغي أن تربى عليها النفوس لكي تعود إلى جادة السبيل بعد أن تفرقت بها السبل، وانبعثت فيها دعوى الجاهلية، اعتزازًا بالأحساب والأنساب، ومجاهرة بالمبادئ الزائفة والشعارات، ولن يأتي ذلك إلا بصادق الإقبال على الله وخالص العلم بشريعته وتنفيذ أحكامها)[٣٧].

٢- روحاني ومادي: يُعنى بالجوانب الروحية والمادية على حدٍّ سواء، فنحن أمام نهر جارٍ من الغذاء الروحي الذي يتقوّى به الإنسان في سلوكه القويم، فتلاوة القرآن الكريم وأداء العبادات تخاطب روح الإنسان ووجدانه مما يؤثر في سلوكه، كما كان اهتمامه بالجانب المادي من مأكله، مشربه وملبسه، من هنا يظهر التوازن في روح وجسد الإنسان (الوحدة النفسية كما تقدم) فلا تتقدم لواحد منهما على صاحبه، فكان الاعتدال والتوسط سمة واضحة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ (البقرة:١٤٣)، فـــــ({وسطًا}، أي: شريفة خيارًا؛ لأن الوسط العدل الذي نسبة الجوانب كلها إليه سواء، فهو خيار الشيء. وسالك الوسط من الطريق محفوظ من الغلط، ومتى زاغ عن الوسط حصل الجور الموقع في الضلال عن القصد؛ ففي هذا أنهم لما ادعوا الخصوصية كذبوا وردت حججهم ثم أثبتت الخصوصية لهذه الأمة)[٣٨]، فهو يجمع بين الروح والمادة بتوازن دقيق عجيب.

٣- إيماني: أي: قائم على الإيمان بالله تعالى وحده، وهذا ما لا نجده في كثير من النظريات السلوكية في علم النفس، ومن يتأمل كتاب الله وسنة نبيه ﷺ يجد فيها الدعوة الصريحة القائمة على أن السلوك الحسن مستند إلى الإيمان بالله تعالى وحده، وأن فقدان الإيمان بالله تعالى مدعاة لسلوك سيء يضر ولا ينفع، قال تعالى: ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ (الأنعام:١٢٢)، وقال تعالى: ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ ﴾ (السجدة:١٨). قال أبو جعفر بن الزبير: (قوله تعالى: {أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس}، والمراد: أو من كان ميتا في غمرات الجهل والكفر فأحييناه بنور الإيمان والعلم، {كمن مثله في الظلمات}، أي: ظلمات الجهل والكفر متماديا على غيه غير مقلع عن كفره لا يجدى عليه إنذار ولا ينتفع بوعظ التذكار فسواء في حقه الإنذار وعدمه)[٣٩].

٤- وسطي: والمقصود بالوسطية: الاعتدال وعدم الإفراط والتفريط في أي شيء، وإعطاء كل ذي حق حقه، وهو واضح في موضوع الثواب والعقاب وذكرهما والاهتمام بهما.

٥- شمولي: إن ما نصت عليه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فيما يتعلق بالسلوك تشتمل على جميع جوانب حياة الإنسان، وهي تهدف لوضع الإنسان مع الله في كل لحظة، وهي تحتوي كل العلاقات الممكنة بين الإنسان وغيره من أدق الأمور إلى أضخمها، ثم تتسع لتشمل الإنسان في كل لحظاته[٤٠]، والسلوك عام ليس لفئة دون أخرى، وهذا الشمول يتأتى بالنظرة للإنسان من خلال مخاطبة عقله، وفكره، ونفسه، وفكره، وحسه ووجدانه، قال تعالى: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ ۖ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ (الرعد:٤)، وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ

يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (يونس:٢٤)، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ (الزمر:٢٧).

٥- أخلاقي: فهو قائم على أساس احترام الكرامة الإنسانية وصونها عن كل ما يشينها ويجرحها، ويعتمد في ذلك على غرس النافع من المبادئ الخلقية والفضائل السلوكية الرفيعة في نفوس الأفراد والجماعات، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الإسراء:٧٠).

٦- المرونة: فهناك تنوع في الطرائق والأساليب، وهذا التنوع له تأثيره الواضح في السلوك، فهناك الثواب، والعقاب والعبادات، فـــ(وجود عنصر المرونة والمتغيرات إلى جانب الثوابت يعني: تعدد الصور والحركة إلى جانب وحدة الأصل، وهذا الارتباط بين الحركة والثبات في منهج المعرفة الإسلامي يعني الترابط بين جميع العناصر التي قد تبدو متضادة أو متعارضة بينما هي في الواقع متكاملة متلاصقة)[٤١].

٧- الأصالة، وهي تعني: التمسك بأصول الفكرة الإسلامية القائمة على أساس الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، دون تبعية لأفكار أجنبية بعيدة عن أفكارنا، وهي تحفظ الذات من الضياع أو الذوبان، وتفع الإنسان إلى رؤية ما حوله ولديه القدرة على الاختيار بفضل ما تكون لديه سلفًا، قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ ﴾ (الإنسان:٣).

٨- ثبات المعيار: إن المعايير التي يحكم بها أصحاب النظريات على السلوك الإنساني الذي يعتبرونه سلوكًا منحرفًا إنما هي معايير وضعية لا يمكن أن ترقى إلى المعايير التي يحكم بها على السلوك من خلال التربية الإسلامية، ذلك أن معيار التربية الإسلامية واضح لا لبس ولا غموض فيه، وهو موضوعي يتفق عليه الجميع؛ لأنه لا يدخل به اجتهاد شخص أو فكرة شخصية؛ فالإسلام هو الذي يحكم على السلوك بأنه سوي أو منحرف، والاختلاف في بعض السلوكيات لا ينقص من ثبات هذا المعيار؛ لأنه اختلاف داخل إطار موحد[٤٢].

في تصنيفه وميدانه:

في تصنيفه:

إن السلوك الإنساني عدة أنواع، ويقسم بحسب أصله، أو ظهوره وملاحظته، أو مصدره، أو الهدف الذي يرمي إلى تحقيقه، أو باتفاقه مع المعايير السائدة أو بحسب أعداد القائمين عليه[٤٣]، وهي على النحو الآتي:-

١- بحسب أصله، وهو إما: سلوك وراثي فطري: يرتبط بعوامل التكوين والصفات الوراثية. أو: سلوك مكتسب: عبارة عن مجموعة من الخبرات والمعارف التي يتعلمها الإنسان بالممارسة بعد مولده[٤٤].

٢- بحسب إمكانية ملاحظته، وهو إما: سلوك ظاهري: يُستدل عليه من آثاره الظاهرية التي تبدو بشكل مباشر في البيئة التي يتم فيها السلوك. أو: سلوك باطني: لا يُستدل عليه إلا بشكل غير مباشر، وهو انعكاس مادّي للسلوك الباطني[٤٥].

٣- بحسب المصدر، وهو إما: سلوك عقلي: وهو يميز الإنسان من سائر المخلوقات الأخرى لتكريم الله تعالى له بالعقل. أو: سلوك انفعالي: ناشئ عن الاستجابة لمشاعر الإنسان، وأحاسيسه وانفعالاته، ويمكن ملاحظته وتظهر آثاره في أحيان كثيرة.
٤- بحسب الهدف منه، وهو إما هادف: يقصد به تحقيق هدف محدد قبل القيام به، ويمتلك الإنسان فيه القدرة على التفكير، والسيطرة على النفس، والقدر على إصدار الأحكام الصحيحة. أو: غير هادف: يكون بلا قصد ولا هدف معين، فلا غاية له[٤٦].
٥- بحسب اتفاقه مع المعايير السائدة، وهو يختلف كلٌ بحسب مجتمعه.
٦- بحسب أعداد القائمين عليه، وهذا يرجع إلى أعداد القائمين بهذا السلوك.
٧- بحسب الإرادة والقصد، وهو إما: مراد (مقصود): متعلق بالإرادة والاختيار، أو: غير مراد (غير مقصود): متعلق بالخطأ والإكراه.

ويمكن تصنيف سلوكيات الإنسان المؤمن إلى تسعة مجالات رئيسة من مجالات السلوك[٤٧]: سلوكيات تتعلق بالعقيدة، وسلوكيات تتعلق بالعبادات، وسلوكيات تتعلق بالعلاقات الاجتماعية، سلوكيات تتعلق بالعلاقات الأسرية، وسلوكيات خُلقية، وسلوكيات انفعالية وعاطفية، سلوكيات عقلية ومعرفية، وسلوكيات تتعلق بالحياة العملية وسلوكيات بدنية. وهذا تصنيف نراه مناسبًا للسلوك.

<u>في ميدانه:</u>

إن المجتمع هو ميدان السلوك، وهو فرصة طيبة ومجال واسع لإظهار السلوك الحسن والعمل الصالح بكل أشكاله.

فهو يمثل (فيما يتعلق بالسلوك الحسن) مجال الدعوة إلى الله تعالى بالحسنى، كما أنه مجال تعليم الصغار والكبار (من رجال ونساء) حق الخالق عليهم، وحق بعضهم على بعضهم الآخر، وحق أنفسهم عليهم، وهو مجال لغرس الرحمة في النفوس، وإظهار المعروف والأمر به، وإنكار المنكر والنهي عنه، ومجال الكلمة الطيبة، والتبسم في وجوه الناس، والصدقة، وإكرام اليتيم، وعيادة المريض[٤٨]، والإصلاح بين الناس، وإقامة العدل، والإخلاص في أداء الأعمال والمهام الموكلة إلى العاملين، وفي إظهار الحقوق، والواجبات، والآداب الاجتماعية الخاصة مع الأقارب، والجيران، والأصدقاء وغيرهم، وإظهارها مع العامة من المسلمين وغيرهم على اختلاف مذاهبهم، ومشاربهم وأحوالهم[٤٩]، وبهذا السلوك الحسن نستطيع أن نقيم المجتمع الفاضل، ذلك المجتمع الذي يحرص الفرد على أن يعطي فيه صورة فاضلة عن نفسه، وعـــن أبناء مجتمعه وعن مجتمعه.

المطلب الثاني// قصة داود عليه السلام والسلوكيات التي تضمنتها

تبدأ قصد داود بن إيشا عليه السلام عند عبوره ووالده وأخوته النهر مع طالوت الملك، كان داود عليه السلام فتى صغيرًا، فهو أصغر أخوته، وكان راميًا جيدًا، وكان رجلًا قصيرًا، أزرق العينين، قليل شعر الرأس وكان طاهر القلب نقيه، ثم بدأت قصد داود عليه السلام مع المُلك عندما أرسل جالوت الجبار إلى طالوت ملك بني إسرائيل أن أبرز إليَّ وأبرز إليَّ من يقاتلني، فإن قتلني ملكتم ملكي، وإن قتلته فلي ملككم، فشقَّ ذلك على طالوت ونادى في عسكره: من قتل جالوت زوّجْتُهُ ابنتي وناصفته ملكي، فهاب الناس جالوت فلم يُجِبْهُ أحد. ثم جيء بدرع موسى عليه السلام ليلبسه من يدخل المعركة ضد جالوت، وقد استعرض (إيشا) الدرع على جميع أبنائه فلم يأتِ إلا على أصغرهم داود عليه السلام، ثم دخل داود عليه السلام المعركة فقتل جالوت، وهذه المعركة سجلت بداية ظهور داود عليه السلام، ثم مات طالوت الملك فعمد بنو إسرائيل إليه فملّكوه عليهم، واعطوه خزائن طالوت، وقالوا له: لم يقتل جالوت إلا نبي. فأنعم الله على داود عليه السلام بالملك، والحكمة وجعل الطير والجبال تسبح وتردد معه تسبيح الله وتنزيهه، وكان داود عليه السلام أحبَّ الدرعَ، وسأل الله تعالى أن يعلّمه صناعتها، فعلّمه تعالى إياها وجعل الحديد ليِّنًا في يديه يطوّعه كيف يشاء(٥٠).

- **سلوك يتعلق بالعقيدة:**

- الإيمان بالله تعالى، وحسن التوكل عليه: إن الإيمان بالله تعالى حق إيمانه هو الدافع والمحرك لكل سلوك يسلكه الإنسان؛ فإن حسن إيمانه حسن سلوكه، وهذا ما بدى وكان طاغيًا على سلوك داود النبي –عليه السلام- في بروزه وقتاله لجالوت المشرك، فبعد أن خاف بنو إسرائيل من البروز لقتال جالوت، خرج داود الفتى الصغير وأقدم على ما لم يقدم عليه الرجال وحتى الملوك وما كان هذا إلا لإيمانه بالله تعالى وحسن توكله عليه، قال تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ (البقرة:٢٥١). فقد احتاج بنو إسرائيل هذا القتال لمدافعة العادين عليهم، واسترجاع ديارهم من أيديهم، فبذلوا الوسع في الاستعداد للدفاع؛ لكن ضعفهم قد بلغ منهم كل مبلغ، فتولوا وأعرضوا عن القتال إلا قليلا منهم، ألهمهم الله رشدهم فاعتبروا وانتصروا، وكان داود على رأس من توكل على الله حق توكله. على أننا عندما نتحدث عن تطبيق سلوك الإيمان بالله تعالى وظهوره على ملامح وصفات الإنسان فأننا نتحدث عن (الشجاعة والفضائل التي تحث عليها) وهي كلها إيمان فلولا ذلك الإيمان الراسخ النابع من القلب ما استطاع داود عليه السلام أن يقف بوجه جالوت الطاغية ومن ثم يرديه صريعًا، فداود

بعد أن آمن بالله حق الإيمان كانت صفاته (كبير النفس، عظيم الهمة، ثابتًا، صابرًا، حليمًا، محتمل للكد، لم يكن طائشًا، منجدًا للناس، ساكنًا وشهمًا)، فالصبر الذي في العفة يكون في الأمور الهائلة؛ وذلك يكون في الشهوات الهائجة. أما كبر النفس فهو: الاستهانة باليسير والاقتدار على حمل المكاره؛ فصاحبه أبدا يؤهل نفسه للأمور العظام مع استخفافه لها. وأما النجدة فهي: ثقة النفس عند المخاوف حتى لا يخامرها جزع. وأما عظم الهمة فهي: فضيلة للنفس تحتمل بها سعادة الجد وضدها حتى الشدائد التي تكون عند الموت. وأما الثبات فهو: فضيلة للنفس تقوى بها على احتمال الآلام ومقاومتها في الأهوال خاصة. وأما الحلم فهو، فضيلة للنفس تكسبها الطمأنينة فلا تكون شَغبةً ولا يحركها الغضب بسهولة وسرعة. وأما السكون الذي نعني به عدم الطيش فهو: إما عند الخصومات وإما في الحروب التي يذب بها عن الحريم أو عن الشريعة. وهو: قوة للنفس تقسر حركتها في هذه الأحوال لشدّتها. وأما الشهامة فهي: الحرص على الأعمال العظام توقعًا للأحدوثة الجميلة. وأما احتمال الكد فهو: قوة للنفس بها تستعمل آلات البدن في الأمور الحسية بالتمرين وحسن العادة[٥١].

- **سلوك يتعلق بالعبادات:**

- ذكر الله تعالى، واستغفاره والثناء عليه: إن ذكر الله، واستغفاره والثناء عليه من موجبات رحمة الله، ومن المقربات إليه، وإن الإنسان بذكره لربه، وكثرة استغفاره وثنائه عليه تفتح له دروب الخير والسعادة، وتحسن بها سيرته وسلوكه بين الناس لكثرة ما يعود به إلى ربه، ومن هنا جاءت الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة لتحث على ذكر الله تعالى واستغفاره وفضل ذلك، قال تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾ (البقرة:١٥٢)، وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الرعد:٢٨)، ونحن نجد أن دوام الذكر كان من أسباب دوام المحبة، وأن الله سبحانه أحق بكمال الحب، والعبودية، والتعظيم والإجلال، كان كثرة ذكره من أنفع ما للعبد، وكان عدوه حقًا هو الصادّ عن ذكر ربه، ولهذا أمر سبحانه بكثرة ذكره في القرآن، وجعله سببًا لنيل القبول في الدنيا والفلاح في الآخرة، وفي الحديث ((قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلاَ أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْفَاقِ الذَّهَبِ وَالوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: ذِكْرُ اللهِ تَعَالَى))[٥٢]، وفي الحديث القدسي ((قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً))[٥٣].

وقد جاء تأكيد هذا السلوك (ذكر الله تعالى) في قصة داود عليه السلام واضحًا، قال تعالى: ﴿ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (الأنبياء:٧٩)، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ (النمل:١٥)، وقال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ ﴾ (سبأ:١٠)، وقال تعالى:

﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨ وَٱلطَّيۡرَ مَحۡشُورَةٗۖ كُلّٞ لَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٩ ﴾ (ص:١٧-١٩)، إن الآيات التي مرت معنا لتأكد هذا السلوك الذي انتهجه داود عليه السلام من ذكر الله تعالى، واستغفاره والثناء عليه، حتى أن هذا السلوك انتقل إلى الطير والجبال فكانت تسبح معه، والحق أن ذكر الله تعالى، واستغفاره والثناء عليه، مدعاة لسلوك الهدوء، والسكينة، والطمأنينة والوقار، وأن من يكثر من ذكر ربه تظهر عليه علامات لا تظهر على غيره، ومن أجل هذا السلوك الذي انتهج، كان داود عليه السلام أوابًا هو ومن بعده الطير والجبال، وهذه مكانة من الله لا تتحصل إلا لمن كان هذا سلوكه، قال الزجاج: ({إِنَّهُ أَوَّابٌ}، رجاع إلى اللَّه كثيرًا، الآيب الراجع، والأَوَّابُ الكثيرُ الرُّجوعِ، كانت الجبال تُرَجِّع التسبيح، وكانت الطير كذلك، كل يُرَجِّعْنَ التسبيح مع داود، يُجِبْنَهُ، كلما سبح سبحت الجبال والطير معه)[٥٤]. على أن هذا الذكر يُزاد على ذلك الذي يقرّ بذنبه ويعترف به، فيعود يذكر ربه ويستغفره ويثني عليه لعله يرفع الذنب والعقوبة عنه، فهو تائب عن الذنب مقلع عنه عازم على مغادرته، وهذا سلوك لا يقوم به إلا من خلصت سريرته وصفت علانيته فكانت لله تعالى، فهو تواب، يؤوب إلى الطاعة ويرجع إليها، فيسبح الله ويثني عليه، فيذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها[٥٥]، على أن هذا السلوك باعث على حسن الفضائل وهذا لا يتحصل إلا إذا أقر بالذنب وتاب عنه، كما أسلفنا، واستغفر منه، واثنى على الله الخير وعزم على أن لا يعود لذلك. وهذا سلوك جميل ولا يكون إلا بالتعود عليه، وفي الحديث قال: ((رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً))[٥٦]، على أن استغفار داود عليه السلام وهو نبي إنما جاء لتعليم البشرية وحثهم على هذا السلوك مع عدم تقصيره، إن الاستغفار من التقصير في أداء الحق الذي يجب لله تعالى، أو الاشتغال بالأمور المباحة من أكل، أو شرب، أو جماع، أو نوم، أو راحة، أو لمخاطبة الناس، والنظر في مصالحهم ومحاربة عدوهم تارة ومداراته أخرى وغير ذلك مما يحجبه عن الاشتغال بذكر الله، والتضرع إليه، ومشاهدته ومراقبته، فيرى ذلك ذنبا بالنسبة إلى المقام العلي وهو الحضور في الحظيرة المقدسة، فيسمو الفرد والمجتمع معًا وهذا هو القصد، (قَالَ الشَّاعِر:

وكــل ذِي غيبَــة يئــوب وغائــب الْمَــوْت لَا يئــوب)[٥٧]

وقد أشار النبي ﷺ إلى ذكر وتسبيح داود عليه السلام وصوته الحسن، ففي الحديث: ((قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأَبِي مُوسَى: لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِكَ الْبَارِحَةَ، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ))[٥٨]، قال العلماء: (الْمُرَادُ بِالْمِزْمَارِ هُنَا: الصَّوْتُ الْحَسَنُ، وَأَصْلُ الزَّمْرِ: الْغِنَاءُ، وَآلُ دَاوُدَ: هُوَ دَاوُدُ نَفْسُهُ، وَآلُ فُلَانٍ قَدْ يُطْلَقُ عَلَى نَفْسِهِ، وَكَانَ دَاوُدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَسَنَ الصَّوْتِ جِدًّا)[٥٩]. على أن هذه المزامير هي تلك التسابيح التي كان يسبح الله تعالى بها، (وقد عرف داود عليه السلام بمزاميره، وهي تسابيح لله كان يرتلها بصوته الحنون، فتتجاوب أصداؤها حوله، وترجع معه الجبال والطير)[٦٠]، فينتقل الإنسان بهذا السلوك لتتفتح له كل القلوب ويشعر بالاتصال بالوجود كله، وينبض قلب الوجود معه، وتنزاح العوائق والحواجز الناشئة عن الشعور بالفوارق والفواصل التي تميز الأنواع والأجناس، وتقيم بينها الحدود والحواجز، وعندئذ تتلاقى ضمائرها وحقائقها في ضمير الكون وحقيقته[٦١]. ثم ينتقل القرآن الكريم ليثبت هذا السلوك ويكشف حقيقة

هذه النعم التي انعمها الله تعالى على عباده بقوله لآل داود: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ ﴾ (سبأ:١٣)، فيقول الله تعالى: اعملوا يا آل داود شكرًا لله تعالى، لا للتباهي، والتعالي والتفاخر بما سخره الله، ويفهمهم أن العمل الصالح هو شكر لله تعالى، فأسلوب شكر الله تعالى والثناء عليه لا يتحقق من الجميع؛ بل من القليل ممن تعود سلوك شكر الخالق والثناء عليه، قال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ (سبأ:١٣)، لذلك كان قول آل داود: ﴿ وَقَالَا ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّنۡ عِبَادِهِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥ ﴾ (النمل:١٥)، (فالحمد هنا على نعمة العلم وحِفْظ منهج الله، وفي الآية مظهر من مظاهر أدب النبوة، حيث قالا: {فَضَّلَنَا على كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ المؤمنين}، فكأن هناك مَنْ هم أفضل مِنّا، وليس التفضيل حَجْرًا علينا، وهذا من تواضعهما عليهما السلام)[٦٢]. إن عظمة فضل الله ونعمته يقلّ القادرون على شكرها، وهم مهما بالغوا في الشكر قاصرون عن الوفاء، فكيف إذا قصروا وغفلوا عن الشكر من الأساس؟! وماذا يملك المخلوق الإنساني المحدود الطاقة من الشكر على آلاء الله وهي غير محدودة؟، فأسلوب ذكر الله تعالى وشكره، وحمده والثناء عليه يجعلنا نشعر بتلك النعم قريبين إلى الله بها وهو كله خير[٦٣].

- أداء الفرائض (الصلاة والصيام): إن أداء الفرائض عمومًا يعد من السلوكيات الظاهرة، التي يوصف على أساسها الإنسان بالالتزام من عدمه في ما يتعلق في أمر الدين؛ لكن لمَ يطلق هذا الوصف على هذا السلوك؟، حقيقة القول: إن هذا الوصف إنما جاء على ما تؤديه الصلاة والصيام من وظائف، ومن تغيرات ومن مهام على سلوك الإنسان، إذ إن الانتظام على الصلاة والصيام له بصمة على حسن السلوك من: النظام، والالتزام بالآداب والقوانيين العامة، وعلى تعويد النفس عن الامتناع عن الملذات والشهوات، فأداء الصلاة على وقتها بشكل منتظم سلوك يؤدي إلى أن يتحلى صاحبه بالصبر، والثبات، والتأمل، والنظام والفكر الحسن، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ﴾ (النساء:١٠٣). أما أداء الصيام والقيام به كما أمر الله تعالى، فيقرب العباد بعضهم من بعض؛ وذلك بالإحساس بالناس ومعاناتهم وما يلم بهم بسبب الجوع، والعوز والفاقة، وفيه تعويد النفس على القناعة والرضى بالقليل دون الكثير؛ فليس من الناس من لا يشعر ويحس بهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ (البقرة:١٨٣).

ولهذا جاء التأكيد على هذا السلوك في قصة داود عليه السلام، قال تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ ﴾ (سبأ:١٣)، وقال تعالى: ﴿ ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧ ﴾ (ص:١٧)، قوله تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ١٣ ﴾، قال ابن كثير: (قال أبو عبد الرحمن الحبلي: الصلاة شكر والصيام شكر، وكل خير تعمله لله عز وجل شكر، وأفضل الشكر الحمد. وقال محمد بن كعب القرظي: الشكر تقوى الله تعالى والعمل

الصالح... وهذا لمن هو متلبس بالفعل، وقد كان آل داود عليهم السلام كذلك قائمين بشكر الله تعالى قولًا وعملًا)[٦٤]، و (عَنْ ثَابِتِ الْبُنَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ جزء الصَّلَاةَ عَلَى بُيُوتِهِ عَلَى نِسَائِهِ وَوَلَدِهِ، فَلَمْ تَكُنْ تَأْتِي سَاعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِلا وَإِنْسَانٌ قَائِمٌ مِنْ آلِ دَاوُدَ يُصَلِّي، فَعَمَّتْهُمْ هَذِهِ الْآيَةُ: {اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ})[٦٥]، و (قَالَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللَّهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللَّهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا، وَيُفْطِرُ يَوْمًا)[٦٦]، فهاتان العبادتان إنما كانتا بهذا الشكل المنتظم بعد أصبحتا سلوكًا لداود عليه السلام وأهل بيته، وهم بذلك إنما يقربون من الله ومن كل شيء أحبه الله، وهو سلوك حسن، وقوله تعالى: ﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ١٧﴾، أكد أنَّ هذا السلوك لا يكون إلا إذا كان الإنسان متحليًّا بالقوة والشجاعة، قال الزجاج: ({ذَا الْأَيْدِ}، ذا القوة، وكانت قوته على العبادة أتم قوة، كان يصوم يومًا ويفطر يومًا. وذلك أَشَدُّ الصوْمِ، وكان يُصَلِّي نصفَ الليل)[٦٧]. وهذا السلوك سلوك قوة، وإرادة، ومصابرة، وطاعة، وانقياد، وتهذيب وخلق رفيع نبيل.

- **سلوك يخصّ الخُلقَ:**

- في العدل وحسن القضاء: إن هذا الموضوع يشمل الحقوق الواجب على الفرد (المكلف بها) أن يقوم بها تجاه المجتمع الإنساني، ويدخل تحت غطائه الجميع من دون استثناء من الأقارب والأباعد، وسلوك العدل والقضاء به سلوك الالتزام مهم جدًا لما له من آثار ونتائج تعود على المجتمع كله بشكل إيجابي أو سلبي.

على أن هذا السلوك (العدل وحسن القضاء) يعدّان الأساس في إقامة المجتمع الفاضل الذي يكون الفرد حريصًا على أن يعطي عن نفسه صورة فاضلة، حتى ولو لم يكن في نفسه فاضلًا، فيعمّ الازدهار هذه المجتمع الذي يسعى المسؤول فيه أن يسلك هذا السلوك[٦٨]. على أن المجتمعات لا تبنى إلا بإقامة العدل والقضاء به دون التفريق بين أحد من أبنائه لسبب معين، والعدالة تقتضي التوسط في الأمور، قال ابن مسكويه: (ولما كانت العدالة وسطا بين أطراف وهيئة يقتدر بها على رد الزائد والناقص إليها صارت أتم الفضائل وأشبهها بالوحدة، وأعني بذلك أن الوحدة هي التي لها الشرف الأعلى والرتبة القصوى، وكل كثرة لا يضبطها معنى يوحدها فلا قوام لها ولا نبات. والزيادة، والنقصان، والكثرة والقلة هي التي تفسد الأشياء إذا لم يكن بينها مناسبة تحفظ عليها الاعتدال بوجه ما؛ فالاعتدال هو الذي يرد إليها ظل الوحدة ومعناها، وهو الذي يلبسها شرف الوحدة ويزيل عنها رذيلة الكثرة والتفاوت والاضطراب الذي لا يحد ولا يضبط بالمساواة التي هي خليفة الوحدة في جميع الكثرات واشتقاق هذا الاسم يدلك على معناه؛ وذلك أن العدل في الأحمال والاعتدال في الأثقال، والعدالة في الأفعال مشتقة من معنى: المساواة، والمساواة هي أشرف النسب)[٦٩]، ومن هنا كان للعدل الأثر الأكبر في إصلاح المجتمعات والسمو والرقي بها.

ولما كانت أهمية العدالة والقضاء العادل، جاء تأكيد ذلك في قصة داود عليه السلام، فحاجة المجتمع للعدل لا تدانيه أي حاجة أخرى، قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا

يَشَآءُ ﴾ (البقرة:٢٥١)، وقال تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (الأنبياء:٧٨-٧٩)، وقال تعالى: ﴿ وَشَدَدۡنَا مُلۡكَهُۥ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحِكۡمَةَ وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ﴿٢١﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِيَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعٗا وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرۡنَا لَهُۥ ذَٰلِكَۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (ص:٢٠-٢٦).

كان بنو إسرائيل أثنا عشر سبطًا، وكانت النبوة في سبط لاوي بن يعقوب عليه السلام ويرجع إليه موسى عليه السلام، وكان الملك في سبط يهوذا بن يعقوب عليه السلام ويرجع إليه داود وسليمان عليهما السلام[٧٠]. وقد مر معنا كيف كان حال بنو إسرائيل لما أرادوا مقاتلة جالوت، وكيف تصدى داود عليه السلام لقتله، ومن هنا كانت بدايته عليه السلام في التصدي للحكم والملك مع النبوة، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴾ (البقرة:٢٥١)، قال السمعاني: (قَوله: {وآتاه الله الْملك وَالْحكمَة}، جمع لدواد بَين الْملك وَالْحكمَة، يَعْنِي: النُّبُوَّة، قيل: بعده بِسبع سِنِين، وَلم يكن من قبل مجتمعا؛ بل كَانَ الْملك فِي سبط والنبوة فِي سبط، وَقيل: الْملك وَالْحكمَة: هُوَ الْعلم مَعَ الْعَمَل)[٧١]. وبعد أن استقر الملك لداود عليه السلام قام بين الناس حاكمًا وقاضيًا بالعدل بين الرعية، فقد انتهج عليه السلام سلوك القضاء بالعدل، والاستماع للمتخاصمين من رعيته والتأني والشورى في الحكم والتراجع عنه إذا ثبت له أن الحق خلاف ما حكم وقضى، قال تعالى: ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (الأنبياء:٧٨-٧٩)، (قال ابن عباس وقتادة والزهري: وذلك أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم، فقال صاحب الزرع: إن هذا انفلتت غنمه ليلا ووقعت في حرثي فأفسدته فلم يبق منه شيء، فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث، فخرجا فمرّا على سليمان فقال: كيف قضى بينكما؟، فأخبراه، فقال سليمان: لو وليت أمركما لقضيت بينكما بغير هذا. وروي أنه قال: غير هذا

أرفق بالفريقين، فأُخبر بذلك داود فدعاه فقال كيف تقضي؟، ويروى أنه قال له: بحق النبوة والأبوة إلا أخبرتني بالذي هو أرفق بالفريقين، قال: ادفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدرها، ونسلها، وصوفها ومنافعها، ويبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه، فإذا صار الحرث كهيئته يوم أكل، دفع إلى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه، فقال داود: القضاء ما قضيت وحكم بذلك)[٧٢]. فهذا السلوك إذا انتهج من: الملوك، والحكام والقضاة شاع في المجتمع الخير والسلام، فإذا كان للملوك، والقضاة والحكام مستشارون أمناء كما كان سليمان لأبيه عليهما السلام، وكان هؤلاء يسلكون هذا المسلك في المشورة والتراجع عن الأحكام الظالمة أو القاسية كانت الدولة بخير، وأمن وسلام، فقد حكم كل منهما في القضية اجتهادًا، وكان الله حاضرًا حكمهما، فألهم سليمان عليه السلام حكمًا أحكم، وفهّمه ذلك الوجه وهو أصوب. فيما اتجه داود عليه السلام في حكمه إلى مجرد التعويض لصاحب الحرث، وهو عدل فحسب؛ ولكن حكم سليمان عليه السلام تضمن مع العدل البناء والتعمير، وجعل العدل دافعًا إلى البناء والتعمير، وهذا هو العدل الحي الإيجابي في صورته البانية الدافعة. وهو فتح من الله وإلهام يهبه من يشاء، وليس في قضاء داود عليه السلام من خطأ؛ ولكن قضاء سليمان عليه السلام كان أصوب، لأنه من نبع الإلهام[٧٣]. وهذا المثل بين نبي وأبيه وهو نبي أيضًا، فسلوك داود النبي عليه السلام في الرجوع عما قضى به سلوك للعودة لمن هو أعلم في المسألة المراد الحكم بها، وهذا غاية وقمة في العدل، فحقّ الأبوة على سليمان عليه السلام لم يمنعه من مخالفة أبيه في الحكم.

وفي هذه الحادثة سلوك للقضاة وللحكام جديد لم يكن موجودًا من قبل وهو الرجوع عن الحكم أو ما يسمى اليوم بـــ(الاستئناف والنقض في الأحكام)، قال الشعراوي: (ومن هذه الحادثة أخذنا مشروعية الاستئناف والنقض في أحكام المحاكم، فقاضي الاستئناف حينما يُعدِّل في حكم القاضي الابتدائي لا يُعَدُّ هذا طعْنًا فيه، إنما كل منهما حكم بناءًا على علمه، وعلى ما توفّر له من أدلة ووقائع، وربما فطِن القاضي الثاني لما لم يفطِنْ له القاضي الأول)[٧٤]. أما قوله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾ (ص:٢٠-٢٦)، فقد جاء سلوك داود عليه السلام مكملًا لما سبق فيه

الرجوع عن الحكم إذا تبين له خلاف حكمه وهو صواب، فقد تعزز ذلك الآن بسلوك جديد هو (فصل الخطاب) كما جاء في الآية الكريمة، وفصل الخطاب في أشهر الأقوال فيه هو: (الْبَيِّنَة على الْمُدَّعِي، وَالْيَمِين على من أنكر، وَهُوَ فصل الْخطاب، وَهَذَا قَول مَشْهُور ومعروف)[٧٥]، سلوك خُط لكل قاضٍ، أو حاكمٍ أو لكل من تصدر لحل نزاع بين طرفين، فموضوع فصل الخطاب أُبتلي به داود عليه السلام فقد كان داود النبي الملك عليه السلام، يخصص بعض وقته للتصرف في شؤون الملك، وللقضاء بين الناس، ويخصص البعض الآخر للخلوة، والعبادة وترتيل أناشيده تسبيحا لله في المحراب، وكان إذا دخل المحراب للعبادة والخلوة لم يدخل إليه أحد حتى يخرج هو إلى الناس. وفي ذات يوم فوجئ بشخصين يتسوران المحراب المغلق عليه، ففزع منهم، فما يتسور المحراب هكذا مؤمن ولا أمين! فبادرا يطمئنانه، {قالُوا: لا تَخَفْ خَصْمانِ بَغى بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ}، وجئنا للتقاضي أمامك، {فَاحْكُمْ بَيْنَنا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنا إِلى سَواءِ الصِّراطِ}، وبدأ أحدهما فعرض خصومته: {إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها}، أي: اجعلها لي وفي ملكي وكفالتي، {وَعَزَّنِي فِي الْخِطابِ}، أي: شدد علي في القول وأغلظ. والقضية- كما عرضها أحد الخصمين- تحمل ظلما صارخا مثيرا لا يحتمل التأويل، ومن ثم اندفع داود عليه السلام يقضي على إثر سماعه لهذه المظلمة الصارخة، ولم يوجه إلى الخصم الآخر حديثا، ولم يطلب إليه بيانا، ولم يسمع له حجة؛ ولكنه مضى يحكم: {قالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَقَلِيلٌ ما هُمْ}، ويبدو أنه عند هذه المرحلة اختفى عنه الرجلان، فقد كانا ملكين جاء للامتحان! امتحان النبي الملك الذي ولاه الله أمر الناس، ليقضي بينهم بالحق والعدل، وليتبين الحق قبل إصدار الحكم، وقد اختارا أن يعرضا عليه القضية في صورة صارخة مثيرة؛ ولكن القاضي عليه ألا يستثار، وعليه ألا يتعجل، وعليه ألا يأخذ بظاهر قول واحد قبل أن يمنح الآخر فرصة للإدلاء بقوله وحجته فقد يتغير وجه المسألة كله أو بعضه، وينكشف أن ذلك الظاهر كان خادعًا، أو كاذبًا أو ناقصًا! عند هذا تنبه داود إلى أنه الابتلاء، {وَظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنَّاهُ}، وهنا أدركته طبيعته، إنه أواب، {فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ راكِعًا وَأَنابَ}، وهذا سلوك لمن تعجل في إصدار حكم ظالم: الاستغفار والتوبة، {فَغَفَرْنا لَهُ ذلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنا لَزُلْفى وَحُسْنَ مَآبٍ}، وهنا فإن الله تعالى لا يضيع أجر المستغفرين المقرين بالذنب التائبين عنه، بعد ذلك كان التعقيب: {يا داوُدُ إِنَّا جَعَلْناكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذابٌ شَدِيدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ}، فهذا سلوك جديد يتمثل في الدعوة إلى الحكم بين الناس بالحق وعدم اتباع الأهواء والتعجل في القضاء بينهم، والاستماع للجميع وعدم الانفعال الذي ينتهي مع الاستطراد فيه إلى الضلال، العذاب الشديد يوم الحساب[٧٦].

- **سلوك يتعلق بالحياة العملية:**

- السعي في سبيل كسب الرزق: جعل الإسلام كسب المال من عبادة الله والتقرب إليه، إذا قصد به الإنسان الإنفاق على أهله، أو على نفسه، أو على أرملة، أو مسكين، أو قصد إخراج زكاة المال، أو غرس غرسة، فأكل منها طير أو إنسان. وقد أشارت الأحاديث النبوية، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾ ﴾ (الجمعة:١٠)، وفي

الحديث: ((عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أنه قَالَ: لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ، فَيَأْتِيَ بِحُزْمَةِ الحَطَبِ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَبِيعَهَا، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهَا وَجْهَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ أَعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ))[٧٧]، على أن سلوك داود النبي عليه السلام كان سلوكًا يُضرب به المثل، وهذا ما أشار إليه النبي ﷺ ففي الحديث: ((عَنِ المِقْدَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ ﷺ قَالَ: مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ))[٧٨]، وقد جاءت الآيات في ذكر كسب داود عليه السلام وعمله، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ (الأنبياء:٨٠)، وقال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾ (سبأ:١٠-١١)، لقد كان الحديد في يد داود عليه السلام كالشمع والعجين يعمل فيه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة. (وكان سبب ذلك على ما روي في الأخبار أن داود عليه السلام لما ملك بني إسرائيل كان من عادته أن يخرج للناس متنكرًا، فإذا رأى رجلًا لا يعرفه يقدم إليه ويسأله عن داود فيقول له: ما تقول في داود واليكم هذا أي رجل هو؟، فيثنون عليه، ويقولون خيرًا، فقيض الله له ملكًا في صورة آدمي، فلما رآه داود تقدم إليه على عادته فسأله؟، فقال الملك: نعم الرجل هو لولا خصلة فيه، فراع داود ذلك، وقال: ما هي يا عبد الله؟، قال: إنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال، قال: فتنبه لذلك، وسأل الله أن يسبب له سببًا يستغني به عن بيت المال، فيتقوت منه ويطعم عياله، فَأَلانَ الله تعالى له الحديد وعلمه صنعة الدروع، وإنه أول من اتخذها. ويقال: إنه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف درهم، فيأكل ويطعم منها عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين، ويقال: إنه كان يعمل كل يوم درعا يبيعها بستة الآف درهم، فينفق ألفين منها على نفسه وعياله، ويتصدق بأربعة آلاف على فقراء بني إسرائيل)[٧٩]؛ فسلوك داود عليه السلام وهو الملك صاحب الخزائن أكله من عمل يديه، سلوك حياة عملية كسبها حلال وأكلها حلال، لا اعتماد فيها إلا على ما ينتجه من عمل يده، فيذهب به إلى عياله وأهله فيطعمهم منه، وقد أكرمه الله تعالى بهذه الصنعة التي كانت موجودة قبله؛ لكنه جاء بالجديد فيها لرغبته في الاعتماد على كسبه ولحبه لهذه الصنعة، قال ابن كثير: (قَوْلُهُ: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ}، يعني: صنعة الدروع. قال قتادة: إنما كانت الدروع قبله صفائح، وهو أول من سردها حلقا، كما قال تعالى: {وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ}، أي: لا توسع الحلقة فتقلق المسمار ولا تغلظ المسمار فَتَقِدُ الحلقة*، ولهذا قال: {لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ}، يعني: في القتال، {فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ}، أي: نعم الله عليكم لما ألهم به عبده داود، فعلمه ذلك من أجلكم)[٨٠]. فـــ(تلك هي صنعة الدروع حلقا متداخلة، بعد أن كانت تصنع صفيحة واحدة جامدة، والزرد المتداخل أيسر استعمالًا وأكثر مرونة، ويبدو أن داود هو الذي ابتدع هذا النوع من الدروع بتعليم الله، والله يمن على الناس أن علم داود هذه الصناعة لوقايتهم في الحرب: {لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ}، وهو يسألهم سؤال توجيه وتحضيض: {فَهَلْ أَنْتُمْ شاكِرُونَ}؟)[٨١]، وهذا السلوك الذي سلك داود عليه السلام كان بفضل الدعاء وإجابة الله تعالى له، فكان يصنع هذه الدروع بشكل مميز لم يسبق إليه، قال الشعراوي: (فقوله تعالى: {وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ

لَبُوسٍ لَّكُمْ}، يصح أن نقول: كان هذا التعليم بالوحي، أو بالتجربة أو الإلقاء في الرَّوْع، وهذه الصنعة لم تكن معروفة قبل داود عليه السلام واللَّبوس: أبلغ وأحكم من اللباس، فاللباس من نفس مادة (لبس) هي الملابس التي تستر عورة الإنسان، وتقيه الحر والبرد، كما جاء في قوله تعالى: {وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الحر} [النحل:٨١]، أما في الحرب فنحتاج إلى حماية أكبر ووقاية أكثر من العادية التي نجدها في اللباس، في الحرب نحتاج إلى ما يقينا البأس، ويحمينا من ضربات العدو في الأماكن القاتلة؛ لذلك اهتدى الناس إلى صناعة الخوذة والدرع لوقاية الأماكن الخطرة في الجسم البشري، وتتمثل هذه في الرأس والصدر، ففي الرأس المخ، وفي الصدر القلب، فإن سِلَمَتْ هذه الأعضاء فما دونها يمكن مداوته وجَبْره. إذن: اللبوس أبلغ وأكثر حماية من اللباس؛ لأن مهمته أبلغ من مهمة اللباس، وكانت قبل داود مَلْساء يتزحلق السيف عليها، فلما صنعها داود جعلها مُركَّبة من حلقات حتى ينكسر عليها السيف؛ لذلك قال تعالى بعدها: {لِتُحْصِنَكُمْ مِّن بَأْسِكُمْ}، أي: تحميكم في حَرْبكم مع عدوكم، وتمنعكم وتحوطكم. إذن: ألهمنا داود عليه السلام، فأخذ يُفكِّر ويبتكر، وكل تفكير في ارتقاء صَنْعه إنما ينشأ من ملاحظة عيب في صَنْعة سابقة، فيحاول اللاحق تلافي أخطاء السابق، وهكذا حتى نصلَ إلى شيء لا عَيْبَ فيه، أو على الأقل يتجنب عيوبًا سابقة؛ لذلك يُسمُّونه (آخر موديل)، ثم يقول تعالى: {فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ}، شاكرون على نعمة الله الذي يرعاكم ويحفظكم في المآزق والمواقف الصعبة، واختار سبحانه موقف البأس أمام العدو؛ ليعطينا إشارة إلى ضرورة إعداد المؤمن لمواجهة الكافر، والأخذ بأسباب النجاة إذا تمَّتْ المواجهة)[٨٢]؛ فسلوك داود الملك النبي عليه السلام فيه أكبر الدرس وأعظم الفائدة، الكسب من عمل اليد.

- الإخلاص في العمل وإتقانه: إن الإخلاص في العمل شرط مهم من شروط المسؤولية والنهوض بواقع الأمم، إذ إن العمل لما يكون خالصًا لوجهه تعالى يصبح دَرءُ ونفعهُ أعمّ، وأشمل وأكمل، وبالإخلاص تتقدم الشعوب والأمم، لهذا كان التأكيد في القرآن الكريم على ذلك، قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ (النساء:١٤٦)، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ (الكهف:١١٠)، وفي الأثر: ((عن، أبي ثمامة، قال: قال الحواريون: يا عيسى ما الإخلاص لله؟ قال: أن يعمل الرجل العمل لا يحب أن يحمده عليه أحد من الناس، والمناصح لله الذي يبدأ بحق الله قبل حق الناس، يؤثر حق الله على حق الناس، وإذا عرض أمران: أحدهما للدنيا، والآخر للآخرة، بدأ بأمر الآخرة قبل أمر الدنيا))[٨٣]، على سلوك الإخلاص في العمل واحدة من أهم فوائد المسؤولية التي لا تعمل إلا لله تعالى عملها خالص له، فمعنى (إخلاص العمل لله)، أن يقصد بالعمل وجهه ورضاه فقط دون غرض آخر.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا السلوك في قصة داود عليه السلام فقال تعالى: ﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ

﴿إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ١١﴾ (سبأ:١٠-١١)، فقد خاطب الله تعالى داود عليه السلام وأهله: {وَاعْمَلُوا صالِحًا إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، فهذا سلوك أمر الله تعالى به داود عليه السلام وقد امتثل له وعمل به، وليس هذا في صناعة الدروع وحدها؛ بل في كل ما تعملون مراقبين الله الذي يبصر ما تعملون ويجازي عليه، فلا يفلت منه شيء، والله به بصير)[٨٤]، وقال ابن كثير: (قوله تعالى: {وَاعْمَلُوا صالِحًا}، أي: في الذي أعطاكم الله تعالى من النعم، {إِنِّي بِما تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}، أي: مراقب لكم بصير بأعمالكم وأقوالكم، لا يخفى علي من ذلك شيء)[٨٥]، فسلوك داود عليه السلام كان الإخلاص في العمل وإتقانه كما مر بنا، فالواجب أن نسلك هذا السلوك في أعمالنا التي نعمل لتكون دائمة النفع مستمرة إلى يوم نلقاه...

الخاتمة:

بعد النظر والتأمل في النصوص الكريمة التي سردت قصة نبي الله داود عليه السلام والتعويل على ما جاء فيها من أقوال العلماء والمفسرين أسجل في نهاية المطاف أهم النتائج التي استوقفتني في متن البحث على النحو الآتي:-

- اشتمل القصص القرآني من الجوانب السلوكية -على تنوعها- ما لا غنى عنه في بناء الانسان ومجتمعه.
- إن امكانية استنباط الجوانب السلوكية من نصوص التنزيل لا تقف عند باحث أو دارس إنما يتأتى ذلك ناظر في النصوص الكريمة على قدر مؤنته.
- إن السلوك في الفكر الإسلامي يعني: ذلك النشاط المستمد من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وهو يضمن مصلحة البشر باختلاف أجناسهم وبيئاتهم، وهو يهدف إلى إحقاق الحق ونشر العدل، ويكون مصدر تلقيه خالصًا من عند الله سبحانه وتعالى ونبيه ﷺ وهو ثمرة الفهم الواعي والعقل الصحيح الراجح، ولا يأتي إلا نتيجة للتدريب، والمران والمجاهدة على أساس سليم مبني على الإيمان بالله تعالى بصدق وإخلاص.
- عُني القرآن الكريم بسلوك الإنسان على أكمل وجه وأحسنه، وهذه العناية تتصل بكل الجوانب المتعلقة بسلوك الإنسان ذاته ومع غيره.
- إن السلوك في الفكر الإسلامي له خصائص تميزه من غيره؛ ذلك أن البناء الإنساني في الإسلام كلٌّ لا يتجزأ ... جسد وروح.
- إن المجتمع هو ميدان السلوك، وهو فرصة طيبة ومجال واسع لإظهار السلوك الحسن والعمل الصالح بكل أشكاله.

- إن في قصة داود عليه السلام جوانب سلوكية كثيرة، تتنوع بين سلوكيات تتعلق بالعقيدة، والعبادات، ومنها ما يخص الخُلق، ومنها ما يتعلق بالحياة العملية، وهذا تنوع جميل شامل لما يحتاجه الإنسان من سلوكيات تعينه في بناء النفس والمجتمع.

- لقد تضمنت قصة داود عليه السلام من المادة الاجتماعية المتعلقة بالسلوك الكثير، وقد تنوعت كما أسلفنا بين سلوكيات عقدية، وأخرى عبادية، وخُلقية وعملية وهي بمجموعها تشكل منظومة اجتماعية مهمة برزت من خلال تسليط الضوء على تلك الوظائف الاجتماعية للسلوكيات آنفة الذكر.
- لقد شهد التفسير الاجتماعي للقرآن الكريم على تطور واضح وملموس لتطور علم التفسير الذي شهد بدوره على ربانية القرآن الكريم، والذي لا يمكن أن يستوعب معانيه جيل مهما كان.

- إن قصة داود عليه السلام أوضحت لنا جانبًا مهمًا من جوانب حاجتنا لتفسير القرآن الكريم تفسيرًا اجتماعيًا وقد قدمت لنا آفاقًا واسعة في الجوانب السلوكية.

المصادر والمراجع:

- الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط١-٢٠٠١م).
- البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه= صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (ط١-١٤٢٢هـ).
- البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن=تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط١-١٤٢٠ه).
- البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٥هـ- ١٩٩٥م).
- البيهقي، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند (ط١-١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م).
- الترمذي، الجامع الكبير=سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت (١٩٩٨م).
- الترمذي، الجامع الكبير-سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت (١٩٩٨م).
- ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت (ط٣-١٤٠٤).
- الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت (ط٤-١٤٠٧هـ-١٩٨٧م).
- الحسين حرنو محمود جلو، أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، دار العلوم الإنسانية، دمشق (١٩٩٤م).
- الخازن، تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، دار الفكر، بيروت، لبنان (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م).
- الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط٣-١٤٢٠ه).
- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب، بيروت (ط١-١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).
- الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (ط١-١٤١٩هـ-١٩٩٨م).
- الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: (٣٤١/٣).
- السمرقندي، بحر العلوم، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
- السمعاني، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية (ط١-١٤١٨هـ-١٩٩٧م).
- الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، دار الأضواء، بيروت.
- الشعراوي، تفسير الشعراوي=الخواطر، مطابع أخبار اليوم (١٩٩٧م).
- الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة.
- الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة (ط١-١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م).

- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية (١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م).
- الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت.
- الماوردي، تفسير الماوردي=النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط١-١٤٢١هـ-٢٠٠١م).
- النسفي، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت (ط١-١٤١٩هـ-١٩٩٨م).
- النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط٢-١٣٩٢هـ).
- أبو جعفر بن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية (ط٣-١٤١٩هـ).
- حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر (ط١-١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م).
- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، دار المعرفة، بيروت (ط١-١٤٠٨هـ).
- رمضان محمد القذافي، علم النفس الإسلامي، مكتبة وهبة، مصر (ط٢-١٩٨١م).
- سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة (ط١٧-١٤١٢هـ).
- ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض (ط١-١٤٠٩).
- ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس (١٩٩٧م).
- عبدالحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا.
- عبدالله عبدالحي موسى، المدخل إلى علم النفس، مصر (ط٣-١٩٨٨م).
- د. عبدالمجيد سيد أحمد منصور، ود. زكريا أحمد الشربيني، ود. إسماعيل محمد الفقي، السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (٢٠٠٢).
- ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت (ط١-١٤٢٢ه).
- علي خليل أبو العينين، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي (ط٢-١٩٨٥م).
- عماد الشريفين، تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات الإسلامية (١٤٢٢ه-٢٠٠٢م).
- ابن فارس، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط٢-١٤٠٦ه-١٩٨٦م).

- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت (ط١-١٤١٩هـ).
- د. محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة (١٩٨٢).
- محمد عزالدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، دار السلام، القاهرة (ط١-١٩٩٨م).
- محمد عقله، الإسلام مقاصده خصائصه، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان (ط١-١٩٨٤م).
- محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة (ط١٤-١٩٩٣م).
- ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية (ط١).
- مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت (ط٣-١٤١٤ه).
- نبيل محمد السمالوطي، الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، دار الشروق، جدة (ط١-١٩٨٠هـ).
- يوسف علي بديوي، تهذيب الخلق الإسلامي الكامل، مؤسسة علوم القرآن، بيروت (١٩٩٩م).

الهوامش:

(1) ينظر: الأزهري، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط١-٢٠٠١م): (٣٨/١٠).
(٢) ينظر: الأزهري، مصدر سابق: (٣٨/١٠). الجوهري، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت (ط٤-١٤٠٧هـ-١٩٨٧م): (١٥٩١/٤). ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت (ط٣-١٤١٤ه): (٤٤٢/١٠).
(٣) ابن فارس، مجمل اللغة، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط٢-١٤٠٦ه-١٩٨٦م): (٤٧٢/١).
(٤) ابن عطية الأندلسي، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت (ط١-١٤٢٢ه): (٢٤٤/٤).
(٥) الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: (٣٤١/٣). وينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (ط١-١٤١٩هـ-١٩٩٨م): (٤٦٩/١-٤٧٠).
(٦) ابن منظور، مصدر سابق: (٤٤٣/١٠).
(٧) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية (١٤٢٣هـ -٢٠٠٣م): (٢٤٥/١٥-٢٤٦).
(٨) ابن عطية، مصدر سابق: (٣٩٨/٥).
(٩) النسفي، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت (ط١-١٤١٩هـ-١٩٩٨م): (٥٦٨/٣).
(١٠) ينظر، ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس (١٩٩٧م): (٣٢٦/٢٩).

(١١) د. عبدالمجيد سيد أحمد منصور، ود. زكريا أحمد الشربيني، ود. إسماعيل محمد الفقي، السلوك الإنساني بين التفسير الإسلامي وأسس علم النفس المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (٢٠٠٢): (٢٨).
(١٢) ينظر: المصدر السابق نفسه: (٢٨).
(١٣) عماد الشريفين، تعديل السلوك الإنساني في التربية الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات الإسلامية (١٤٢٢ه-٢٠٠٢م): (٥).
(١٤) رمضان محمد القذافي، علم النفس الإسلامي، مكتبة وهبة، مصر (ط٢-١٩٨١م): (١٧).
(١٥) عبدالحميد الزنتاني، أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية، الدار العربية للكتاب، ليبيا: (٥٥٣).
(١٦) يوسف علي بديوي، تهذيب الخلق الإسلامي الكامل، مؤسسة علوم القرآن، بيروت (١٩٩٩م): (٢٥٢).
(١٧) عبدالله عبدالحي موسى، المدخل إلى علم النفس، مصر (ط٣-١٩٨٨م): (٣٠).
(١٨) ينظر: ابن الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، المكتب الإسلامي، بيروت (ط٣-١٤٠٤): (١٩٠/٣)، وما بعدها.
(١٩) الرازي، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط٣-١٤٢٠ه): (٥٠٥/٢٧).
(٢٠) ينظر: الحسين حرنو محمود جلو، أساليب التشويق والتعزيز في القرآن الكريم، دار العلوم الإنسانية، دمشق (١٩٩٤م): (٣٨).
(٢١) ينظر: عماد الشريفين، مصدر سابق: (٩).
(٢٢) ينظر: نبيل محمد السمالوطي، الإسلام وقضايا علم النفس الحديث، دار الشروق، جدة (ط١-١٩٨٠هـ): (٧٣)، وما بعدها. عماد الشريفين، مصدر سابق: (٢٣)، وما بعدها.
(٢٣) السمرقندي، بحر العلوم، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت: (٥٥١/١).
(٢٤) أخرج الحديث: ابن أبي شيبة، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض (ط١-١٤٠٩): (١٧١/٥). البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه= صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (ط١-١٤٢٢هـ): (١٤٠/٧).

(٢٥) قال ابن رجب: (وقال الحارث بن كلدة طبيب العرب: الحمية رأس الدواء والبطنة رأس الداء. ورفعه بعضهم ولا يصح)، ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، دار المعرفة، بيروت (ط١-١٤٠٨هـ): (٤٢٥-٤٢٦). وقد أخرج الطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَعِدَةُ حَوْضُ الْبُدْنِ، وَالْعُرُوقُ إِلَيْهَا وَارِدَةٌ، فَإِذَا صَحَّتِ الْمَعِدَةُ صَدَرَتِ الْعُرُوقُ بِالصِّحَّةِ، وَإِذَا فَسَدَتِ الْمَعِدَةُ صَدَرَتِ الْعُرُوقُ بِالسَّقَمِ»)، الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق ابن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة: (٣٢٩/٤). البيهقي، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند (ط١-١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م): (٥٢٣/٧).

(٢٦) الزمخشري، الكشاف: (٩٦/٢).

(٢٧) المصدر السابق نفسه: (٤٠٨/٤-٤٠٩).

(٢٨) ابن عطية، مصدر سابق: (١٨٢/٥).

(٢٩) ينظر: حسن أيوب، السلوك الاجتماعي في الإسلام، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر (ط١-١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م): (١٩)، وما بعدها. عماد الشريفين، مصدر سابق: (٨٢)، وما بعدها.

(٣٠) أخرجه: الترمذي، الجامع الكبير-سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت (١٩٩٨م): (٤٥٧/٢). النسائي، السنن الكبرى، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت (ط١-١٤٢١هـ-٢٠٠١م): (٢٥٦/٨). والحديث عن أبي هريرة -رض الله عنه-.

(٣١) ينظر: محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، دار الشروق، القاهرة (ط١٤-١٩٩٣م): (١٤).

(٣٢) ينظر: عبدالحميد الزنتاني، مصدر سابق: (٧٦٠).

(٣٣) ينظر: محمد قطب، مصدر سابق: (٣٠).

(٣٤) ينظر: د. عبدالمجيد سيد أحمد منصور وآخرون، مصدر سابق: (٩٣).

(٣٥) ينظر: عماد شريفين، مصدر سابق: (٨٧)، وما بعدها.

(٣٦) الكرماني، غرائب التفسير وعجائب التأويل، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، مؤسسة علوم القرآن، بيروت: (١٨٢/١). وقال الشريف الرضي: (قوله تعالى: {صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً}، أي: دين الله، وجعله بمنزلة الصبغ؛ لأن أثره ظاهر ووسمه لائح، وهذا من محض الاستعارة)، الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، دار الأضواء، بيروت: (١١٨/٢).

(٣٧) محمد عقله، الإسلام مقاصده خصائصه، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان (ط١-١٩٨٤م): (١٣).

(٣٨) البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٥هـ- ١٩٩٥م): (٢٦١/١).

(٣٩) أبو جعفر بن الزبير الغرناطي، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: (١٦٩).

(٤٠) ينظر: علي خليل أبو العينين، فلسفة التربية الإسلامية في القرآن الكريم، دار الفكر العربي (ط٢-١٩٨٥م): (٢٩٧).

(٤١) محمد عقله، مصدر سابق: (٩٣).

(٤٢) ينظر: محمد عزالدين توفيق، التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، دار السلام، القاهرة (ط١-١٩٩٨م): (٣٤٢).

(٤٣) ينظر: د. عبدالمجيد سيد أحمد منصور وآخرون، مصدر سابق: (٤٨٩-٤٩٠). عماد شريفين، مصدر سابق: (١٢)، وما بعدها.

(٤٤) ينظر: رمضان محمد القذافي، مصدر سابق: (١٩-٢٠). نبيل محمد السمالوطي، مصدر سابق: (١٢-١٤).

(٤٥) ينظر: رمضان محمد القذافي، مصدر سابق: (٢٠).

(٤٦) ينظر: المصدر السابق نفسه: (٢١).

(٤٧) ينظر: د. محمد عثمان نجاتي، القرآن وعلم النفس، دار الشروق، القاهرة (١٩٨٢): (٢١٤-٢١٥). د. عبدالمجيد سيد أحمد منصور وآخرون، مصدر سابق: (٤٨٩-٤٩٠).

(٤٨) ينظر: حسن أيوب، مصدر سابق: (١٧٤).
(٤٩) ينظر: المصدر السابق نفسه: (٢٥٩).
(٥٠) ينظر: الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة (ط١-١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م): (٣٥٥/٥)، وما بعدها. الخازن، تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل)، دار الفكر، بيروت، لبنان (١٣٩٩هـ-١٩٧٩م): (٢٦٠/١)، وما بعدها.
(٥١) ينظر: ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، حققه وشرح غريبه: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية (ط١): (٣٠).
(٥٢) الترمذي، الجامع الكبير=سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت (١٩٩٨م): (٣٢٠/٥).
(٥٣) البخاري، مصدر سابق: (١٢١/٩).
(٥٤) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، عالم الكتب، بيروت (ط١-١٤٠٨هـ-١٩٨٨م): (٣٢٤/٤).
(٥٥) ينظر: الماوردي، تفسير الماوردي=النكت والعيون، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان: (٨٤/٥).
(٥٦) البخاري، مصدر سابق: (٦٧/٨).
(٥٧) السمعاني، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية (ط١-١٤١٨هـ-١٩٩٧م): (٤٢٩/٤).
(٥٨) مسلم، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: (٥٤٦/١).
(٥٩) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط٢-١٣٩٢هـ): (٨٠/٦).
(٦٠) سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، القاهرة (ط١٧-١٤١٢هـ): (٢٣٩٠/٤).
(٦١) ينظر: المصدر السابق نفسه: (٢٣٩٠/٤).
(٦٢) الشعراوي، تفسير الشعراوي=الخواطر، مطابع أخبار اليوم (١٩٩٧م): (١٠٧٥٣/١٧).
(٦٣) ينظر: سيد قطب، مصدر سابق: (٢٨٩٩/٥).
(٦٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت (ط١-١٤١٩هـ): (٤٤٢/٦).
(٦٥) ابن أبي حاتم، تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية (ط٣-١٤١٩هـ): (٣١٦٣/١٠).
(٦٦) البخاري، مصدر سابق: (٥٠/٢).
(٦٧) الزجاج، مصدر سابق: (٣٢٣/٤).
(٦٨) ينظر: حسن أيوب، مصدر سابق: (٢٦٠).
(٦٩) ابن مسكويه، مصدر سابق: (١٢٣-١٢٤).
(٧٠) ينظر: الطبري، مصدر سابق: (٣١٠/٥).
(٧١) السمعاني، مصدر سابق: (٢٥٤/١).
(٧٢) البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (ط١-١٤٢٠ه): (٢٩٨/٣).
(٧٣) ينظر: سيد قطب، مصدر سابق: (٢٣٨٩/٤-٢٣٩٠).
(٧٤) الشعراوي، مصدر سابق: (١٠٧٥٤/١٧-١٠٧٥٥).
(٧٥) السمعاني، مصدر سابق: (٤٣٠/٤).
(٧٦) ينظر: سيد قطب، مصدر سابق: (٣٠١٨/٥).
(٧٧) البخاري، مصدر سابق: (١٢٣/٢).
(٧٨) المصدر السابق نفسه: (٥٧/٣).
(٧٩) البغوي، مصدر سابق: (٦٧٢/٣).

* وقدر في السرد، والسرد نسج الدروع، يقال لصانعه: السراد والزراد، يقول: قدر المسامير في حلق الدرع أي لا تجعل المسامير دقاقا فتفلت ولا غلاظا فتكسر الحلق، ويقال السرد [٣] المسمار في الحلقة، يقال: درع مسرودة أي مسمورة الحلق، وقدر في السرد اجعله على القصد وقدر الحاجة. ينظر: المصدر السابق نفسه: (٦٧٢/٣).

(٨٠) ابن كثير، مصدر سابق: (٣١٤/٥).

(٨١) سيد قطب، مصدر سابق: (٢٣٩٠/٤).

(٨٢) الشعراوي، مصدر سابق: (٩٦٠٩/١٥/١٥-٩٦١٠-٩٦١١).

(٨٣) ابن أبي شيبة، مصدر سابق: (٦٦/٧).

(٨٤) ينظر: سيد قطب، مصدر سابق: (٢٨٩٨/٥).

(٨٥) ابن كثير مصدر سابق: (٤٤٠/٦).